الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم في المنظور التربوي الإسلامي"دراسة تحليلية"

إعداد

د/مصطفى علي السيد محمود

المدرس بقسم أصول التربية- كلية التربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر

الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم في المنظور التربوي الإسلامي"دراسة تحليلية"

مصطفى علي السيد محمود

قسم أصول التربية، كلية التربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر

البريد الالكتروني: mostafaelsisi.2595@azhar.edu.eg

مستخلص البحث:

استهدف البحث إجراء دراسة تحليلية للكشف عن أبرز الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم من وجهة نظر الرؤية التربوية الإسلامية ممثلة في المصدر الأول للتشريع(القرآن الكريم)، ولتحقيق ذلك أُستخدم المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستنباطي، ومن أبرز ما توصلت إليه النتائج ما يلي:

- حوى القرآن الكريم المبادئ والأسس المرجعية العامة الحاكمة لصياغة الإطار القيمي المنظم لجوانب الحياة الإنسانية كافة بما في ذلك الجانب المتعلق بتدويل التعليم والتشارك المعرفي.
- ثمة أسس قيمية حاكمة تشكل البعد المقاصدي "المركزي" لكافة الأنشطة الإنسانية وفق المنظور القرآني _ بما في ذلك الجانب المتعلق بتدويل التعليم_ وتتمثل هذه الأسس في: «التوحيد، والتزكية، والعمران».
- ثمة أسس قيمية حاكمة لصياغة الإطار القيمي المنظم لتدويل التعليم وفق المنظور القرآني، وتتمثل في: تعزيز أبعاد المشترك الإنساني، التعارف والانفتاح على الآخر، تعظيم شرف العلم ومنزلة أهله، التدافع العلمي والمعرفي، التشارك المعرفي والإتاحة والنشر وعدم الكتمان، المحافظة على الهوية وعقيدة الفرد والمجتمع، احترام وتقدير التخصص، التعاقد وإبرام الاتفاقيات قبل الشروع، التواضع ونبذ الغرور في التعليم والتعلم، الندية في التعامل، إتاحة تكافؤ الفرص للجميع، التوازن بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة، تحري الدقة والأمانة العلمية، التحلي بالموضوعية -المؤسسة على اتباع الدليل- مع الآخر، التطبيق والتعلم من أجل العمل، التقيد بحدود العلم النافع.

الكلمات المفتاحية: تدويل التعليم، القيم الحاكمة، فلسفة التدويل.

The foundations of the values governing the internationalization of education in the Islamic educational perspective "analytical study"

Mostafa Ali Elsayed Mahmoud

Department of Fundamentals of Education, College of Education for Boys, Cairo - Al-Azhar University.

Email: mostafaelsisi.2595@azhar.edu.eg

Summary:

The research aimed to conduct an analytical study to reveal the most important value bases governing the internationalization of education from the point of view of the Islamic educational vision represented in the first source of legislation (the Holy Quran), and to achieve this, the descriptive analytical method and deductive method were used, and the most prominent findings:

- The Holy Quran contains the general principles and reference bases governing the formulation of the value framework governing all aspects of human life, including the aspect related to the internationalization of education and knowledge sharing.

- There are governing value foundations that constitute the "central" intentional dimension of all human activities according to the Quranic perspective-including the aspect related to the internationalization of education and knowledge sharing-and these foundations are "unification, sponsorship, and urbanization".

-There are guiding value bases for formulating an organized value framework for the internationalization of education according to the Quranic perspective, which are: enhancing the dimensions of the human participant, acquaintance and openness to the other, maximizing the honor of Science and the status of its people, Scientific and knowledge scramble, knowledge sharing, availability, dissemination and non-secrecy, preserving the identity and faith of the individual and society, respect and appreciation of specialization, contracting and concluding agreements before embarking, humility and renunciation of vanity in teaching and learning, dewatering in dealing, providing equal opportunities for all, balancing the demands of the world and the demands of the hereafter, investigation of accuracy and scientific honesty, objectivity-the institution is to follow the evidence- With the other, application, learning for the sake of action, adherence to the boundaries of only useful science.

key words: Internationalization of education, governing values, philosophy of internationalization.

مقدمة البحث:

تعد القيم أحد أبرز الركائز الأساسية للحياة الإنسانية؛ كونها تمثل بوصلة التوجيه والإرشاد للمسعى الإنساني برمته على الصعيد الفكري، والحضاري والاجتماعي، وسائر أبعاد النشاط الإنساني كافة، خاصة ما يتعلق بالإطار التبادلي مع الآخر.

فحينما يقوم الإنسان بفعل محدد، فإنه _حين يبدأ الفعل_ لا بد أن يستحضر المعايير والضوابط الحاكمة لسلامة البدء، وسلامة السير في الاتجاه، وسلامة المقصد من الفعل(ملكاوي، ٢٠١٣، ١٨). ويعد الدين الإسلامي المصدر الأول للقيم في البلاد الإسلامية، وبالتالي فهو المحدد للقيم والأخلاق التي يجب أن تؤطر سلوك المسلم، ولا يمكن تصور أي قيمة ولا فهمها خارج هذا الإطار، فالقيم الكونية المشتركة من حرية ومساواة وقيم حقوق الإنسان وغيرها إنما تُفهم فهماً سليماً حين تتماشى مع الخصوصية الإسلامية، ومن ثمّ كان القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة العطرة هي مصدر الحكم على الأشياء بالقبول أو الرفض، بالحُسن أو القبح، بالحلِّ أو الحرمة (السماحي، ٢٠١٨، ١١).

ويعد تدويل التعليم استجابة ضرورية وملحة لتحديات العولمة بأبعادها السياسية والثقافية والاقتصادية، حيث أكدت دراسة العجمي (٢٠٠٣) على أن تحديات العولمة فرضت على الأنظمة التعليمية ترتيبات أكثر دولية، حيث نما اتجاه عالمي لتدويل التعليم لم يقتصر فقط على عمليات التعليم والتعلم والتدريب والبحث العلمي، وإنما اتسع ليشمل حراكاً يستوعب المُدخل البشري "طلاب، وأعضاء هيئة التدريس، والموظفين".

وتؤكد دراسة نايت (2003) Knight على أن المدخل الرئيس الذي تتبناه النظم التعليمية حول العالم لمواجهة التأثيرات المتعاقبة للعولمة يتمثل في القيام بعمليات واعية ومقصودة لإضفاء الطابع الدولي متعدد الثقافات على فلسفة وعمليات ومخرجات منظومة التعليم العالي، وتلك العملية هي التي اصطلح على تسميتها بالتدويل.

وغني عن البيان أن العلم والعقل والتجربة مشتركات إنسانية، وهي مسخرات إلهية للإنسان المستأمن كي يتذكر ويتعلم ويعمل ويعتبر، والعلوم سواء منها علوم التيسير التي تستمد من الوحي، أو علوم التسخير التي تستمد من الكون، أو علوم الاستبصار التي تستمد من دراسة الإنسان، هي علوم متكاملة ومتداخلة، وهي التي تستحق تسمية "العلم الجامع" الذي يشمل النظر في النص، والنظر في الكون، والنظر في الإنسان في اتساق وانسجام، وبهذه القراءة الجامعة تُفتح أمام الإنسانية المعاصرة إمكانات هائلة لنقد وتجديد أسس المعرفة الإنسانية وإعادة بنائها استشرافاً لعالمية المشترك الإنساني (لمقدم، ٢٠١٤، ٣٨٦).

ومن هنا تبدو أهمية الوقوف على الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم في المنظور التربوي الإسلامي، حيث تضبط هذه الأسس وتوجه صياغة القيم المتعلقة بأبعاد ومنطلقات هذا الملف الضروري جداً في الوقت الراهن، وتسعى الدراسة الحالية من خلال إجراءاتها إلى إلقاء الضوء على هذا الموضوع.

مشكلة البحث:

استناداً إلى ما سبق تقريره، يتعين القول أنه لا يمكن بحال الحديث عن ملف يقتضي التبادل والتشارك الإنساني _شأن ملف تدويل التعليم_ دون الوقوف على البعد الحاكم والموجه لصياغة القيم المتعلقة بأطر وأبعاد هذا الملف؛ وذلك بما يتوافق مع أسس وتقريرات الفلسفة العامة والتربوية السائدة في المجتمع، وهي في هذه الحالة "فلسفة التربية الإسلامية"، لذا يسعى البحث الراهن إلى الوقوف على أبرز الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم من منظور التربية الإسلامية ممثلة في مصدرها التشريعي الأول «القرآن الكريم»؛ حيث لم يقف الباحث على دراسة علمية تناولت هذا الجانب من قبل. وذلك من خلال الإجابة عن السؤال الآتي:

- ما أبرز الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم من منظور التربية الإسلامية ممثلة في مصدرها التشريعي الأول «القرآن الكريم»؟

هدف البحث:

هدف هذا البحث من خلال محاوره وإجراءاته إلى الوقوف على أبرز الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم من منظور التربية الإسلامية ممثلة في مصدرها التشريعي الأول «القرآن الكريم».

أهمية البحث:

تتضح أهمية إجراء هذا البحث من خلال النقاط الآتية:

- محاولة رصد أبرز الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم من منظور التربية الإسلامية ممثلة في مصدرها التشريعي الأول.

- الاستجابة لما نادت به بعض الأدبيات _كدراسة الأحمر (٢٠١٤)_ من ضرورة الكشف عن القيم الحاكمة لجوانب الحياة الإنسانية المختلفة من منظور الرؤية الإسلامية.

- الإسهام في بناء وترسيخ الأخذ بالركائز الحاكمة لتدويل التعليم والتشارك المعرفي من قبل المؤسسات التعليمية المختلفة.

- رفد المكتبة التربوية العربية بإطار معرفي متخصص فيما يتعلق بالأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم في المنظور التربوي الإسلامي.

- توجيه أنظار الباحثين إلى القيام بدراسات متعلقة بأبعاد التدويل والقيم الحاكمة له في سياقات فلسفية وفكرية أخرى.

منهج البحث:

اعتمد البحث الحالي في تحقيق أهدافه على توظيف المنهج الوصفي التحليلي، مستعيناً كذلك بالمنهج الاستنباطي للوقوف على أبرز الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم من منظور التربية الإسلامية ممثلة في مصدرها التشريعي الأول.

محددات البحث:

اقتصر البحث الحالي في حده الموضوعي على القيام بدراسة تحليلية لمحاولة الكشف عن أبرز الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم في المنظور التربوي الإسلامي ممثَّلاً فقط في المصدر الأول للتشريع "القرآن الكريم".

مصطلحات البحث:

تدويل التعليم:

تعرف **اليونسكو UNESCO** (2004) تدويل التعليم بأنه: "التعليم عبر الحدود، والذي يشمل مجموعة واسعة من العناصر مثل: المناهج الدراسية، والتدريس/التعلم، والبحث، وتنقل الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، والتعاون في مجال التنمية.. ويشمل مجموعة واسعة من الطرق التي تسمح بالتواصل، بدءاً من السفر إلى الخارج، إلى التعلم عن بعد (باستخدام التقنيات، بما في ذلك التعلم الإلكتروني)".

الأسس القيمية الحاكمة:

الأساس أو المبدأ هو أصل الشيء أو مرجعه الذي بدأ منه. ويعرفها "كوفي" Covey (2020) بأنها: "المبادئ التي تحكم الفعالية الإنسانية_ وهي بمثابة القوانين الطبيعية للأبعاد الإنسانية الحقيقية، فلا يلحقها التغيير، ولا تقبل الجدال، شأنها مثل قوانين الجاذبية في البعد المادي"(15).

التعريف الإجرائي:

يُقصد بـ"الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم في المنظور التربوي الإسلامي" في هذه الدراسة: الكشف عن أبرز المبادئ والركائز المرجعية الموجِّهة والحاكمة لصياغة الإطار القيمي المتعلق بقضية تدويل التعليم في المنظور التربوي الإسلامي ممثَّلاً فقط في المصدر الأول للتشريع "القرآن الكريم".

الدراسات السابقة:

هدفت دراسة **الأحمر (٢٠١٤)** إلى بيان أن المهمة الأصلية التي من أجلها خلق الله الإنسان، وأبرزها القرآن بجلاء هي الاستخلاف في الأرض، وأن جميع آياته تولت تفصيل مقتضياته وأبعاده، وعاضدتها نصوص السنة ومعطيات التجربة الإنسانية منذ خلق الله آدم وحواء، وتحملهما مسؤولية الاستخلاف في الأرض، كما طرح البحث مقاربة لرؤية قرآنية استخلافية كلية، تسهم في تأطير الفعل الإنساني الحضاري فوق الأرض وتعين على استيعاب معضلاته ومجرياته قديماً وحديثاً. وقد أوضح البحث أن استثمار التوجهات الكبرى لمضمون القرآن ورصد العلاقات الرابطة بينها، يقود دونما تمحل إلى اعتبار الاستخلاف في الأرض بما يتضمنه من مؤشرات مبدئية، لمسؤولية الإنسان عن نفسه وصيرورة حياته في الدنيا ونتائجها في الآخرة، بأنه يمثل مدار رؤية قرآنية كونية تمكن من بناء تصور مقنع إلى أبعد الحدود لغاية الوجود البشري، مع تقديم تفسير مرض لكبريات الإشكالات الوجودية للإنسان والحياة، وكذلك توجيه الفكر إلى ما يحقق الكرامة والسعادة والرقي الروحي والمادي للإنسانية. كما توصل البحث إلى أن المحك لتقويم أية رؤية هو مدى ترجمتها إلى مناهج وبرامج تطبيقية في مختلف ميادين الحياة.

وهدفت دراسة **لمقدم (٢٠١٤)** إلى بناء أسس للتواصل بين مختلف الحضارات والثقافات الإنسانية، وفتح مدخل واسع للتعاون في القضايا المشتركة وتدبير هوامش الاختلاف، وتقديم مقاربة تأصيلية تحليلية لمفهوم المشترك الإنساني الذي يهيمن على الفكر الإنساني المعاصر، انطلاقاً من نص الوحي ومقصده، لإثبات أن ارتباط هذا المفهوم في الثقافة الغربية بخصوصيات تاريخها الفكري ومنعرجاته وبمفهوم حقوق الإنسان _الوثيقة المعروفة في القرن الماضي المنجزة في حضن هذه الثقافة_ لا يلغي حقيقة مفهوم المشترك الإنساني وأصالته ونصاعته في كتاب منهج الإسلام. وانتهى البحث إلى أن حقيقة مفهوم المشترك الإنساني تمثل حاجة إنسانية حقيقية من المروءة والقيم الخلقية والمبادئ الحضارية، منشؤها الفطرة الإنسانية ومستندها الشرائع السماوية، وفي مقدمتها شريعة الإسلام الخاتمة، ولا ينبغي أن يشوش على هذه الحقيقة للمشترك الإنساني، التوظيف العولمي للمفهوم الهادف إلى محو الخصوصية الثقافية للشعوب وتمييع القيم الخلقية الإنسانية، كما ركزت القاعدة التكوينية على الأسس الضرورية المشتركة بين الإنسانية والجوامع الضابطة لما اختلف من فروعها، في حين أتمت القاعدة التشريعية البناء على نحو شامل ومتكامل، فربطت المشترك الإنساني بالجوانب الثلاثة: العقدية، والمقاصدية، والفقهية، فجاء البنيان راسخاً وشامخاً.

وقام **السماحي (٢٠١٨)** بدراسة استهدفت –عبر المسلك التحليلي- الكشف عن الأسس المرجعية للقيم في الشريعة الإسلامية، وتوصلت إلى أن التربية على القيم والأخلاق تكتسي أهمية قصوى في المجتمعات الإنسانية كلها، بغض النظر عن دينها وثقافتها، لأنها من مرتكزات الحياة الإنسانية، ولذلك فإن سقوط الأمم والحضارات غالباً ما يرجع إلى انهيار أخلاقها، فهي الضامنة لتنشئة الفرد تنشئة سليمة متوازنة، تجعل شخصيته منفتحة ومتفاعلة، دون انسلاخ أو ذوبان، وهي الضامنة لوحدة المجتمع وتجانسه وتماسكه. ولذلك أولى الإسلام عناية خاصة للقيم والأخلاق، وأعطاها مكانة فريدة لم يعطها لها دين من الأديان، ولا مذهب من المذاهب. إلا أنه، وبفعل العولمة والغزو الثقافي العابر للقارات، أصبحت المجتمعات الإسلامية تعيش انتكاسة قيمية وأخلاقية، تجعلنا نقول إننا بحق أمام أزمة قيم، مما يدفعنا مرة أخرى لطرح سؤال المرجعية؟. فما دام لكل مجتمع قيمه التي تحفظ تماسكه ووحدته، ومن خلالها يحكمون على سلوكيات أفراده بالقبول أو الرفض، بالحسن أو القبح، فإن الأسس المرجعية التي تستقى منها هذه القيم في المجتمعات الإسلامية، والتي تضمن وحدتها وانسجامها من غير انغلاق ولا انسلاخ، يمكن إجمالها في: الوحي قرآنا وسنة، والفطرة السليمة.

وهدفت دراسة **مسرار (٢٠٢١)** إلى الكشف عن دور القيم القرآنية الحاكمة للتربية في تعزيز مفاهيم الأمن التعليمي، واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، وخلصت نتائجها إلى أن القيم الحاكمة يمكن إجمالها في أربعة جوانب، وهي: القيم الإيمانية، والقيم الإنسانية، والقيم الأخلاقية، والقيم العمرانية. وهذه القيم القرآنية تُفضي إلى تحقيق الأمن التعليمي، فهي أصل لتحقيق أمن المعلم والمتعلم، وهي أساس في المنهاج التربوي، وهي مرتكز لتحصيل أمن الفضاء المدرسي.

تعقيب على الدراسات السابقة:

يتضح مما سبق عرضه من دراسات أنها تتقاطع مع هدف الدراسة الحالية في بعض حيثيات التناول المنهجي، وذلك من حيث الكشف عن الأسس القيمية الحاكمة في التربية الإسلامية لبعض جوانب النشاط الإنساني، كدور القيم القرآنية الحاكمة للتربية في تعزيز مفاهيم الأمن التعليمي، كما في دراسة **مسرار(٢٠٢١)**، أو بيان الأسس المرجعية للقيم في الإسلام، كدراسة **السماحي (٢٠١٨)**، أو بيان الأسس المرجعية لقيم المشترك الإنساني، كدراسة **لمقدم (٢٠١٤)**، أو الكشف عن مرجعية القيم المتعلقة بالاستخلاف والفعل الحضاري الإنساني، كدراسة **الأحمر (٢٠١٤)**، وتختلف الدراسة الحالية عن تلك الدراسات في أنها سعت إلى الكشف عن أبرز المبادئ والركائز المرجعية الموجِّهة والحاكمة لصياغة الإطار القيمي المتعلق بقضية تدويل التعليم في المنظور التربوي الإسلامي ممثَّلاً فقط في المصدر الأول للتشريع "القرآن الكريم". وهذا ما لم تتناوله أيٌّ من الدراسات السابقة على هذا النحو.

الإطار النظري:

أولاً/ الأسس القيمية الحاكمة:

تُستخدم الأسس هنا في هذه الدراسة بمعنى المبادئ والركائز المرجعية الموجِّهة. ومبدأ الشيء: أوله ومادته التى يتكون منها، كالنواة مبدأ النخل؛ أو يتركب منها، كالحروف مبدأ الكلام، والجمع مبادئ. و"مبادئ العلم أو الفن أو الخلق أو الدستور أو القانون": قواعده الأساسية التى يقوم عليها ولا يخرج عنها(المعجم الوسيط، ٢٠١١، ٤٣). وهذه المبادئ هي التي يتم في ضوئها صياغة الإطار القيمي المتعلق بملف معين خاص بمجال من مجالات الحياة الإنسانية.

ورد في المعجم التربوي أن القيم تعبر عن: "مجموعة من القواعد والمقاييس الصادرة عن جماعة ما، ويتخذونها معايير للحكم على الأعمال والأفعال، ويكون لها قوة الالتزام والضرورة العمومية، ويعتبر أي خروج عنها بمثابة انحراف عن الجماعة ومُثلها"(أحمد، ١٩٨٤، ١٣).

وتُعرف القدور (٢٠٢١) المبادئ بأنها: "مجموعة من القواعد والقوانين الرئيسة؛ التي تفسر كيفية عمل السلوكيات الخاصة والأحداث العامة، وتبيّن منطلقاتها ومرتكزاتها".

والأسس القيمية القرآنية الحاكمة: هي المبادئ الدستورية القادرة على توليد المواد الدستورية والقواعد القانونية، لتكون منطلقاً لبناء الأحكام على ضوء المستجدات التي يعرفها الواقع، وتعد مقياساً لسائر أنواع الفعل الإنساني، ولجميع الآثار المترتبة عليه في الدنيا والآخرة، ولها حضور في سائر المفاهيم الأخرى، تزودها بالمعني وتحدد وجهتها وقبلتها، وتسدد كثيراً من آليات اشتغالها(مسرار، ٢٠٢١، ٦٥-٦٦).

فقد أرسى القرآن الكريم منذ تنزُّله أسس واقع إنساني حضاري جديد، يتجاوز الواقع القائم من خلال منظومة القيم القرآنية في التوحيد، والتعارف، والمساواة، والحرية، والتكريم، والفضيلة، والمروءة، والأخوة الإنسانية، والحق، والخير، والعدل، والجمال...(المنتار، ٢٠١٤، ٢٤-٢٥).

وثمة فوارق مميّزة بين القيم والمبادئ؛ فقد تبدو تعريفات مفهوم القيم ومفهوم المبادئ متشابهة في مضمونها العام، إلا أنّ هناك ما يميزها عن بعضها، ويزيح التباس الفهم فيما بينها، وهي تتلخص فيما الآتي (Norris, 2017):

- تتخذ المبادئ شكلاً عالمياً ثابتاً، يستعصي تغييرها أو التلاعب في تفسيرها، أما القيم فلها طابعها الشخصي أو المجتمعي الخاص، مما قد يؤهلها للتغير والتطور.
- المبادئ تتمثل بالحقائق التي تتجاوز الفوارق الثقافية والفردية؛ لما تتمتع به من وضوح وثبات ذاتيّ، وكأنها تترسخ في عقلية الأفراد والمجتمعات، دون التناقش والتجادل حول صحتها وثبوتها وفاعليتها، أو عواقب اختبارها، فالجاذبية الأرضية مبدأ علميّ، يثبت صحته كلما سقط شيء فإنه يجذبه نحو الأرض، أما القيم فتتحكم بحيّز أضيق، وترتبط بأحداث متغيرة وأفكار متجددة، مما يكسبها مرونةً تؤهلها لقابلية تغييرها وتطورها، فهي أداة مهمة للتعبير عن الأهداف، والقناعات، والأحكام التي تطلق على مختلف القضايا الحياتية.
- يمكن استخدام المبادئ كبوصلة تضبط تحركات المرء على المستوى الفردي، وكمرجع فكري يتم اتخاذ القرارات على أساسها، وقد يُستعان بها لتحديد الأهداف والقيم الذاتية.
- يتم تأسيس المبادئ أولاً؛ لبناء الأهداف الفردية، والمنظومة القيمية الخاصة بكل إنسان، وبالتالي لكل مجتمع، إذ تحميه من الغوغائية، والتشتت، والتناقض، على المستويات الفكرية والعملية.

وللأسس المرجعية الحاكمة للقيم أهمية كبيرة على المستوى الفردي والجماعي، فهي الموجهة للقيم التي تكتسي أهمية كبرى في الحياة الإنسانية، بل إنها الضابط والمحدد للسلوك الفردي والجماعي. فعلى المستوى الفردي: هي الضامنة لتنشئة الفرد تنشئة سليمة متوازنة، تجعله معتزاً بهُويته ووطنه، متفاعلاً مع محيطه ومجتمعه، منفتحاً على العالم من حوله، دون أن ينسلخ من مبادئه وثقافته. وعلى المستوى الجماعي: فالقيم هي الضامنة لوحدة المجتمع وتجانسه وتماسكه، بما هي قيم مشتركة تحكم سلوك أفراد هذا المجتمع(السماحي، ٢٠١٨، ١٠).

ويتضح مما سبق أهمية ومحورية المبادئ/الأسس والقيم فيما يتعلق بتوجيه وضبط السلوك والنشاط الإنساني، وأن ثمة فوارق تميز بين المبادئ/الأسس والقيم، إذ تعمل الأولى كموجه وضابط لصياغة الثانية، حيث تحمل المبادئ/الأسس جانباً من العمومية والثبات غير متضمن في البعد القيمي بذات القدر والحد.

ثانياً/ تدويل التعليم "الأهداف والمتطلبات"

يعبر تدويل التعليم عن حاجة باتت ملحة في الوقت الراهن للتواكب مع متغيرات العصر المتسارعة في كافة الجوانب والقطاعات، فلم يعد من المقبول تقوقع النظم التعليمية والاكتفاء بتحقيق شروط التواجد المحلي في ظل السماوات المفتوحة التي تلاشت على إثرها الحدود وتشابكت المصالح والتأثيرات، والثورات التكنولوجية المتعاقبة ذات التأثير المباشر وغير المباشر على الفرد والمجتمع في الشرق والغرب على حد سواء. ويشير قاسم ومحمود (٢٠١٢) إلى أن التدويل يعبر عن حاجة المجتمعات إلى التلاقي، والتبادل، والتداول، والتشاور، وعمل المشروعات، حيث بات من الضرورات الراهنة وضع آليات وإستراتيجيات للتدويل، وصياغة قواعد لتلاقي الشعوب وتبادل منتوجاتها سواء المادية أو البشرية (١٣).

وتعرف نجوى الفواز (٢٠٢٠) التدويل بأنه: أسلوب لإكساب الطابع الدولي للسياسات والأعمال التي يتم من خلالها تكوين علاقات تعاونية بين مؤسسات القطاع الحكومي ونظيراتها في الدول العالمية؛ من أجل تحقيق التكامل والتشارك والغايات المشتركة بينها.

ويُعرف هوانج (2017) Hwang تدويل التعليم بأنه: توسع التعليم وإدخال نظرة دولية من خلال التنقل عبر الحدود، وإتاحة التواصل بين المؤسسات التعليمية والطلاب والعلماء ومقدمي المعرفة والبرامج. كما عُرف كذلك بأنه: عملية دمج الأبعاد الدولية والبين-ثقافية في وظائف التعليم، والأبحاث، وخدمات التعليم العالي(Childress, 2009, 7).

إن التدويل وفق ما سبق يتضمن أبعاداً من الانفتاح على الآخر، والتعاون والتضامن الإنساني العام؛ بهدف تحقيق غايات مشتركة يأتي في مقدمتها تحسين النظم التعليمية، وتجويد مخرجاتها بما يتوافق مع تغيرات سوق العمل، ويجعل هذه النظم أهلاً لقيادة اقتصاد المعرفة إنتاجاً ونشراً وتطبيقاً، فلم يعد التدويل _في الوقت الراهن_ ترفاً فكرياً، ولا خياراً مطروحاً للنقاش، بل بات ضرورة ملحة تستوجبها معطيات العصر واستحقاقاته المتعددة.

ويتطلب الانخراط في تدويل التعليم تحقيق عدة متطلبات من قِبل المؤسسات التعليمية، لعل من أبرزها ما يلي(شاهين، ٢٠٢٠، ٣٦٤-٣٦٨):

- تحقيق التعاون الأكاديمي Academic cooperation الدولي بين المؤسسات التعليمية.
- توفير آلية واضحة لحراك الطلاب Student mobility على المستوى الدولي.
- توفير آلية واضحة لحراك أعضاء هيئة التدريس Teaching staff mobility على المستوى الدولي.
- إنشاء فروع للجامعات بالخارج Branch campuses.

ويعمل التدويل كذلك على تحقيق الميزة التنافسية، وتجويد وتحسين مخرجات النظم التعليمية، وحتى يتحقق هذا الأمر على النحو المنشود لا بد من مراعاة مجموعة من المبادئ، من أبرزها ما يلي(CBIE, 2014):

- أن يضفي التدويل الصبغة الدولية على التعليم لتوفير الانتفاع به لكل الذين يملكون القدرة والجدارة من الأفراد على المستوى العالمي.
- أن يوفر التدويل العديد من الأنماط المختلفة من التعليم استجابة للمتطلبات التعليمية لكافة الطلاب.
- أن يهتم التعاون الدولي في التعليم بالبعد الأخلاقي التوجيهي الذي يُعلي من روابط التضامن العالمي، ويعزز القيم والمبادئ الإنسانية، والحوار بين الثقافات.
- توفير نمط إداري يقوم على مبدأ الاستقلال والخضوع للمساءلة.
- أن يعتمد التدويل على مبدأ الجودة التي تتخطى المعايير المتعلقة بسياقات محلية.
- أن تنهض مؤسسات التعليم بمسؤولياتها الاجتماعية العالمية عبر نقل المعارف بين الدول؛ لتوفير حلول فعالة ومشتركة، وتطوير حركة العقول، والتقليل من الآثار السلبية لهجرة العقول.

- أن يعمل التدويل على إقامة الشراكات الجامعية الدولية من أجل تحقيق أهداف البحث العلمي، وتبادل الطلاب، وإقامة العلاقات التعاونية الدولية وتطويرها، وتأهيل قدرات الباحثين على المستوى الإقليمي والعالمي.
- أن يتضمن التدويل إتاحة فرص متكافئة للاستفادة من التعليم، واحترام الاختلاف الثقافي بين الدول.
- أن ينبثق التعاون الدولي من الأنظمة الوطنية؛ لضمان الجودة واعتماد الشهادات، وتحفيز الربط بين النظم التعليمية على المستوى العالمي.
- أن يكون شاملاً وواسع الانتشار، يشمل جميع جوانب عمل المؤسسة (التدريس، والبحث، والخدمات، والتواصل المجتمعي)، ومجموعة كاملة من الأهداف والإجراءات المؤسسية.
- التدويل الذي يشمل بناء القدرات عبر الحدود والثقافات يجب أن يُفيد جميع الأطراف المعنية.
- أن يحقق التدويل تشارك مجموعة واسعة من أفراد المجتمع _بما في ذلك الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والكادر الإداري والوظيفي_ في تصميم وتطوير الأنشطة، وتحقيق العدالة التعليمية.

وجدير بالذكر أن التدويل التعليمي المنشود لا يستهدف اختراق الهوية الذاتية للمجتمعات، ولا إحداث غزو ثقافي يستهدف مقدرات الأمة وتاريخها عبر إخضاعها وهدم ثوابتها وجعلها تابعة ومستلَبة، فمثل هذا التدويل مرفوض شكلاً ومضموناً، بل إن التدويل المنشود هو الذي يحقق التعارف والتضامن الإنساني وتبادل المصالح والمنافع المشتركة في ظل الحفاظ على هوية المجتمع وتراثه الثقافي وثوابته العقدية؛ لذا لا بد أن ينطلق التدويل في مبادئه وممارساته وغاياته من مبادئ وقيم وثوابت السياق الثقافي المحلي للمجتمعات.

ثالثاً: الدراسة التحليلية "إجراءاتها ومضمونها":

أ. الإجراءات المنهجية للدراسة التحليلية:

اعتمدت الدراسة الحالية في تحقيق أهدافها على المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستنباطي، وقد مضت إجراءات السير فيها وفق اتباع الخطوات التالية:

- قراءة القرآن الكريم.
- تحديد الآيات ذات الصلة بمجال التعامل الإنساني وأسس التشارك المعرفي.
- الرجوع إلى بعض كتب التفسير للوقوف على دلالة هذه الآيات.
- الاستشهاد بالسنة النبوية لتدعيم الفكرة محل النقاش.
- استنباط أبرز الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم في ضوء مراعاة ما سبق.
- صياغة الأسس القيمية الحاكمة المستنبطة في ضوء فقه الواقع التربوي لتدويل التعليم والتشارك المعرفي.

- عرض الأسس القيمية المستنبطة على مجموعة من المحكمين بلغ عددهم (٩) "تخصص تربوي وشرعي" لاستطلاع آرائهم وتوجيهاتهم حيال تلك الأسس القيمية المستنبطة.
- عرض نتائج الدراسة في ضوء مراعاة توجيهات التحكيم.
- تقديم مجموعة من التوصيات والمقترحات في ضوء ما تم التوصل إليه من نتائج.

ب. "مضمون الدراسة التحليلية" و اقع الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم في المصدر الأول للتشريع "القرآن الكريم":

من الثابت أن العملية التربوية توجهها أهداف وغايات ومقاصد وقيم أساسية تعمل دائماً على تكوين شخصية الإنسان، وفي المقابل يعد البناء القيمي هو أحد الأركان المحورية عند التطلع إلى تكوين الجانب المعرفي لأي منهج في أي مجتمع من المجتمعات(الشاهين، 2012، 19-18). ولقد أرسى القرآن الكريم منذ تنزله أسس واقع إنساني حضاري جديد، يتجاوز الواقع القائم من خلال منظومة القيم القرآنية في التوحيد، والتعارف، والمساواة، والحرية، والتكريم، والفضيلة، والمروءة، والأخوة الإنسانية، والحق، والخير، والعدل، والجمال...(المنتار، ٢٠١٤، ٢٤-٢٥). فقد حوى القرآن الكريم الأسس المعيارية القيمية الحاكمة للتبادل والتشارك المعرفي مع الآخر، ومن أبرز هذه الأسس القيمية ما يلي:

١- التوحيد

قال تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** ﴾[محمد: ١٩]، والمعنى كما ورد في المحرر الوجيز "دُمْ عَلَى ذَلِكَ، وهَذا هو القانُونُ في كُلِّ أمْرٍ بِشَيْءٍ هو مُتَلَبِّسٌ بِهِ، وهَذا خِطابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وكُلُّ واحِدٍ مِنَ الأُمَّةِ داخِلٌ فِيهِ" (ابن عطية، ٢٠٠١، ج٥، ١١٦).

التوحيد هو قمة الهرم في المنظومة القرآنية الحاكمة، عنه تتفرع سائرها، وعليه يقوم بناؤها. والتوحيد الذي يأخذ هذا الموقع من هذه المنظومة هو ذلك الذي جاء القرآن المجيد به خالصاً سليماً من سائر الشوائب، فلو شابته أية شائبة أو خالطته الأخلاط فقد نقاءه، وبطلت فاعليته، أو ضعفت آثاره وانطفأت جذوته، وتوقفت تجلياته(العلواني، ٢٠٠٣، ١٢).

إن قضية تدويل التعليم والتعاون بين الأمم فيما يتعلق بالتشارك المعرفي ونقل ونشر الخبرات الإنسانية، هذه القضية لا تنفك في حس المسلم عن قضية التوحيد، فلا توجد في الإسلام مسألة أو قضية تخرج عن هذا الإطار العقدي تجاه توحيد خالق هذا الكون. فالتوحيد أول مقاصد الشارع، وأصل المبادئ القيمية القرآنية الحاكمة، فهو يوضح حدود وأبعاد الدور الإنساني في هذا الوجود، وفي الوقت نفسه يحقق قدرة كبيرة على صياغة المفاهيم الضرورية لبناء فاعلية الإنسان(مسرار، ٢٠٢١، ٦٧).

إن ما يترتب علي مبدأ التوحيد فيما يتعلق ببعد تدويل التعليم من المنظور الإسلامي، هو أن يتم هذا التعاون والتبادل المعرفي بما يتوافق مع أسس وركائز عقيدة التوحيد، وذلك من حيث المحافظة على الهوية العقدية للفرد والمجتمع المسلم، فلا يندفع الفرد أو المجتمع إلى الدخول في تحالفات أو عقد اتفاقات تبادلية تخالف عقيدة التوحيد في شكلها أو مضمونها، أو تؤدي إلى زعزعة هذه العقيدة في نفوس الأفراد، فلا بد أن يمارس المسلم أنشطة حياته بلا استثناء حالة

تكييفها بما لا يناقض ويخالف عقيدة التوحيد ومقتضياتها، فلا يوجد مبرر -أيّاً كان- يسمح للمسلم فرداً كان أو جماعة بتجاوز هذا الأمر في أي نشاط يتعلق بحياته العامة أو الخاصة، فالإسلام لا يعرف مبدأ الميكافيلية "الغاية تبرر الوسيلة".

وجدير بالذكر أن توجيهات القرآن فيما يتعلق بهذا الأساس القيمي الحاكم حاسمة جازمة على نحو جذري لا يهادن أحداً ولو كان نبياً مرسلاً، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[الزمر: ٦٥]، وجا في الحديث عن معاذ رضي الله عنه قال: "كنتُ رَدِيفَ النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على حمارٍ، فقال لي: يا مُعاذُ، أتدري ما حَقُّ اللهِ على العِبادِ، وما حَقُّ العِبادِ على اللهِ؟ قُلتُ: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، قال: حَقُّ اللهِ على العِبادِ أن يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شَيئًا، وحَقُّ العِبادِ على اللهِ ألَّا يُعَذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئًا"[البخاري، ٢٨٥٦].

وهذا الحسم في قضية التوحيد لا يعني قسر الآخر وإجباره على اعتناق ما لا يرغب، فلا إكراه في الدين كما يقرر القرآن في قوله تعالى: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[البقرة: ٢٥٦]، بل إن هذا الحسم يعني في المقام الأول أن يكون المسلم في كل نشاطه وسلوكه وسائر أحواله في كل زمان ومكان منضوياً تحت مظلة التوحيد الخالص، ولا تنفك قضية تدويل التعليم عن هذا الأمر.

٢- التزكية:

قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾ [الشمس: ٩-١٠]، والمعنى كما ورد في التحرير "أفْلَحَ مَن زَكّى نَفْسَهُ واتَّبَعَ ما ألْهَمَهُ اللَّهُ مِنَ التَّقْوى، وخابَ مَنِ اخْتارَ الفُجُورَ بَعْدَ أنْ أُلْهِمَ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الأمْرَيْنِ بِالإدْراكِ والإرْشادِ الإلَهِيِّ"(ابن عاشور، ١٩٨٤، مج٣٠، ٣٧٠).

والتزكية مصطلح ومفهوم قرآني أساسي، يتخذ موقعاً مهماً ضمن منظومة الأسس القيمية القرآنية الحاكمة؛ فالتزكية موضوعها الإنسان المستخلف، وهو موضوع الإصلاح في الواقع الإنساني. إصلاح الفرد والجماعة والأمة. والإنسان مادة وروح، والتزكية تشمل المادة والروح. وأي موضوع عن قضايا الإصلاح لا معنى له إلا إذا تعلق بالإنسان واستهدف ترقيته في مراتب التزكية. والتزكية هدف العمران ووسيلته، فهي ليست مسألة مشاعر وخلجات وخواطر نفسية، مقصورة على مستوى الإصلاح الفردي، بل تدخل في صميم البناء الاجتماعي والعمران البشري(ملكاوي، ٢٠٠٩، ٥).

إن الإسلام يتطلب من أتباعه أن يكون مسعاهم دائماً وأبداً نحو الصلاح والإصلاح الفردي والجماعي، بما يتضمنه ذلك من تهذيب النفس وترقية سماتها وأخلاقها بما يتوافق ومكارم الأخلاق التي حث عليها الإسلام وأمر بها أتباعه في كل أمر وشأن، في الظاهر والباطن، فلقد حصر نبي الإسلام غاية دعوته ورسالته في إصلاح النفوس وتهذيبها بمكارم الأخلاق "بُعِثتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخْلاقِ"[صحيح الجامع: ٢٨٣٣]، فكل ما يحقق هذا الأمر من أعمال وأقوال صالحة فهو مطلب إسلامي منشود تحقيقه.

وقضية تدويل التعليم لا تنفك في حس المسلم عن هذا التوجيه الأخلاقي الرامي إلى صيانة النفس وتزكيتها بالأقوال والأفعال، فالعلاقات التبادلية مع الآخر في هذا الشأن مكفولة ضمن هذا الإطار القيمي الحاكم، وبما لا يدفع المسلم أو يُعرضه -فرداً أو جماعة- إلى الطغيان وإيثار الحياة

الدنيا، والتغطرس والتكبر بالعلم فرحاً واستغناءً به، أو المشاركة في وضع الإطار العلمي والمعرفي وتقديمه إلى الناس ضمن قالب مادي بحت يدفعهم –تصريحاً أو تلميحاً- إلى ما يُخالف توجيهات الإسلام فيما يتعلق بتزكية النفوس بمكارم الأخلاق، وإحسان تعلقها بخالقها عز وجل عبر مسلك العلم والمعرفة.

٣- العمران:

قال تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾ [هود: ٦١]، والمعنى كما ورد في الكشاف "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ لم ينشئكم منها إلا هو، ولم يستعمركم فيها غيره. وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب، وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها وأمركم بالعمارة"(الزمخشري، ٢٠٠٩، ٤٨٩)

إذا كان التوحيد يتعلق أساساً بالرؤية الإسلامية للإله الخالق المدبر، والتزكية تتعلق بالرؤية الإسلامية للإنسان المخلوق المستخلف، فإن العمران يتعلق بالرؤية الإسلامية لوظيفة الإنسان في الكون المستخلف فيه، فيكون العمران –وفق هذه الرؤية - قيمة معيارية تقاس بها "قيمة" الحياة في عمر الإنسان الفرد، أو عمر الجماعة أو الأمة، وقيمة معيارية "تقوَّم بها" الجهود والإنجازات الحضارية "العمرانية" للفرد أو الجماعة أو الأمة(ملكاوي، ٢٠١٠، ٥). فالعمران: هو مجموع النشاطات المتعلقة بتنظيم الحياة الإنسانية، أو التصورات الفكرية والاعتقادية والفنية لأي أمة، أو كل الأوصاف الخاصة بوجودها المادي والمعنوي(المنتار، ٢٠١٤، ١٤-١٥).

والعمران الذي يتغياه الإسلام من المسعى البشري هو العمران بمعناه الواسع الذي يشمل البُعد المادي والفكري والثقافي، وهذه الجوانب لا يتحقق عمرانها إلا في إطار يوجهه العلم النافع، ذلك الذي يرتد أثره واقعاً حضارياً ملموساً تنتفع به سائر الخلائق دون جور أو استنزاف أو فساد في قطاع على حساب ترقية آخر، فدخول المجتمع المسلم في علاقات تبادلية مع الآخر فيما يتعلق بتدويل التعليم وتبادل المعارف يأتي ضمن هذا التوجيه القرآني القيمي الحاكم "تحقيق العمران"، لا سعياً إلى استغلاله في التسلط على الغير، واستنزاف موارد ومقدرات الأمم والشعوب بدافع التفوق العلمي والمعرفي، ولا سعياً إلى وضعه ضمن مساق الإفساد في البر والبحر، وإهلاك الحرث والنسل كما هو حاصل من البعض في العصر الراهن.

٤- تعزيز أبعاد المشترك الإنساني:

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً**﴾ (الإسراء: ٧٠) "والمعنى كما ورد في البحر المديد" وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ قاطبة، برهم وفاجرهم، أي: كرمناهم بالصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، والتمييز بالعقل، والإفهام بالكلام، والإشارة والخط، والتهدي إلى أسباب المعاش والمعاد، والتسلط على ما في الأرض، والتمتع به، والتمكن من الصناعات، وغير ذلك مما لا يكاد يُحيط به نطاق العبارة " (ابن عجيبة، ٢٠٢٢، ج٤، ١٠٩). ويقول صاحب التحرير: "فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته، والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره على أنه فضله بالعقل الذي به استصلاح شؤونه ودفع الأضرار عنه وبأنواع المعارف والعلوم". (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٥، ١٦٦). وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[النساء: ١]، والمعنى كما

ورد في المحرر الوجيز "وفي الآية تنبيه على الصانع، وعلى افتتاح الوجود، وفيها حض على التواصل لحرمة هذا النسب وإن بَعُد" (ابن عطية، ٢٠٠١، ج٢، ٣).

والمشترك الإنساني يعبر عن أبعاد الكرامة الإنسانية التي كفلها الشرع لعامة الناس من لدن آدم إلى قيام الساعة، والتي كان من ضمن مبرراتها كون الإنسان متمتعاً بالإرادة والتمييز العاقل الذي كفل له صلاحية التعلم باستخدام الأدوات التي يمتلكها، وقابلية التوصل إلى المعارف بطريق مباشر أو بقياس الغائب على الشاهد، وذلك ضمن إطار وحدود قدراته العلمية والمعرفية التي وُهبت له.

وعليه، فإن الشرع الحنيف يتطلب من أتباعه حفظ وصيانة هذه الكرامة -للنفس وللغير على حد سواء- وعدم التعدي عليها أو انتهاك حدودها دون وجه حق، وما دام العلم والمعرفة كانا من خصائص منح الكرامة الإنسانية فلا يصح أبداً ولا يستقيم أن يُستغل ما كان أصلاً للكرامة في الحط منها، وانتهاك حرمتها عدواناً واعتداءً، باستغلال الأبحاث في وضع مجتمع ما ضمن إطار التميز العرقي، أو استغلال تطبيقات الأبحاث في إذلال الأنفس وإلحاق الظلم بها، والسيطرة عليها وكبح حرياتها، أو إزهاقها دون وجه حق، أو بوضع الإنسان موضع التجريب الذي يُلحق الأذى النفسي أو العضوي، أو استنساخه باعتباره شيئاً من الأشياء المادية لا يفترق عنها في خلقته وتكوينه وكرامته، وكذلك سائر الممارسات اللا أخلاقية التي يمكن أن تُمارس تحت ستار العلم والتجريب، وهي منافية للكرامة الإنسانية التي كفلها الشرع الحنيف.

إن الأمر المتعلق بتدويل التعليم يُمارَس –من المنظور القرآني- ضمن هذا الأساس القيمي الحاكم الذي كفله الشرع الحنيف فيما يتعلق بالمشترك الإنساني العام الضامن لكرامة الناس أجمعين، وهي "القيم الإنسانية الموجودة في كل الأديان والحضارات والمدارس الفكرية؛ وتلبي حاجيات الإنسان الفطرية من حيث هو إنسان، فهي قيم ومبادئ عابرة للخصوصيات الثقافية للأمم، كإقامة العدل وإنصاف المظلوم وبغض الظالم، وكتحقيق الحرية وكرامة الإنسان، وكالحفاظ على النفس الإنسانية وتأمين حاجاتها المختلفة"(لمقدم، ٢٠١٤، ٣٥١). وبحيث تكون سائر الممارسات العلمية –النظرية والتطبيقية- داعمة ومؤكدة لقيم المشترك الإنساني وكرامة الناس أجمعين.

٥- التعارف والانفتاح على الآخر:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣]، والمعنى كما جاء في البحر المديد: أي خلقناكم من "آدم وحواء، أو كل واحد منكم من أب وأم، فما منكم من أحد إلا وهو يُدلي بما يُدلي به الآخر، سواء بسواء، فلا معنى للتفاخر والتفاضل بالنسب... "لتعارفوا"، أي: إنما جعلناكم كذلك ليعرف بعضكم نسب بعض، فلا يتعدى لغير آبائه... ثم ذكر الخصلة التي يفضل بها الإنسان، ويكتسب الشرف والكرم عند الله، فقال: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، أي: لا أنسبكم، فإن مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى"(ابن عجيبة، ٢٠٢٢، ج٧، ١٧٤).

وهذا التعارف لا يقتصر على النسب وحسب، بل يتسع مداه ليشمل سائر الأنواع مما يصح أن يُطلق عليه هذا المفهوم، فهناك التعارف العلمي، والاجتماعي والثقافي، والسياسي، والاقتصادي...، وغيرها من صور التعارف والتواصل التي باتت ملحة في الوقت الراهن؛ حيث

طُويت المسافات، وتقلصت الحدود، وتشابكت المصالح بين الأمم والشعوب على نحو لم تشهده الأرض من قبل.

ويضع الإسلام هذا التعارف ضمن إطار قيمي يتعلق بتحقيق التضامن الإنساني العام ضمن إطار التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[المائدة: ٢]، قال صاحب التحرير في معنى الآية: "يَعْنِي: أنَّ واجِبَكم أنْ تَتَعاوَنُوا بَيْنَكم عَلى فِعْلِ البِرِّ والتَّقْوى، وإذا كانَ هَذا واجِبُهم فِيما بَيْنَهم، كانَ الشَّأْنُ أنْ يُعِينُوا عَلى البِرِّ والتَّقْوى، لِأنَّ التَّعاوُنَ عَلَيْها يُكْسِبُ مَحَبَّةَ تَحْصِيلِها، فَيَصِيرُ تَحْصِيلُها رَغْبَةً لَهم، فَلا جَرَمَ أنْ يُعِينُوا عَلَيْها كُلَّ ساعٍ إلَيْها. ولَوْ كانَ عَدُوًّا، والحَجُّ بِرٌّ فَأعِينُوا عَلَيْهِ وعَلى التَّقْوى، فَهم وإنْ كانُوا كُفّارًا يُعاوَنُونَ عَلى ما هو بِرٌّ: لِأنَّ البِرَّ يَهْدِي لِلتَّقْوى، فَلَعَلَّ تَكَرُّرَ فِعْلِهِ يُقَرِّبُهم مِنَ الإسْلامِ"(ابن عاشور، ج٦، ٨٧).

وهذا التعارف أيضاً يتم وفق التصور القرآني في إطار البر والقسط، قال تعالى: ﴿**لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[الممتحنة: ٨]، وضمن إطار الإحسان العام إلى الناس في القول والفعل، قال تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾[البقرة: ٨٣]، وعليه، فإن تدويل التعليم يقع ضمن إطار "التعارف العلمي"، المؤطر بأبعاد التضامن والتعاون الإنساني البناء، والتقيد بتحقيق التكافل الإنساني وإيصال الخير للناس والإحسان إليهم، ففي الحديث "أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ"[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ٦٠٢٦].

٦- تعظيم شرف العلم ومنزلة أهله:

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر: ٢٨]، يقول صاحب التحرير: " دَلَّ بِالِالتِزامِ عَلى أنَّ غَيْرَ العُلَماءِ لا تَتَأتّى مِنهم خَشْيَةُ اللَّهِ... وأُوثِرَ هَذا الأُسْلُوبُ في الدَّلالَةِ تَخَلُّصًا لِلتَّنْوِيهِ بِأهْلِ العِلْمِ والإيمانِ" (ابن عاشور، ج٢٢، ٣٠٤). وقال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩] جاء في التحرير "والمقصود: إثبات عدم المساواة بين الفريقين، وعدم المساواة يكنَّى به عن التفضيل. والمراد: تفضيل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون"(ابن عاشور، ج٢٣، ٣٤٨).

يضع القرآن الكريم العلم وأهله ضمن منزلة سامية عالية، حيث حوى آيات كثيرة يتعلق مضمونها بالحفاوة بالعلم وتقدير أهله وبيان كرامتهم ومنزلتهم السامية بين الناس، فهم في أعلى الدرجات بعد الأنبياء، قرنهم الله باسمه واسم ملائكته في الشهادة له بالوحدانية ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران: ١٨]، وذلك لأثر العلم وثمرته في نفوسهم من حيث زيادة المعرفة والخشية والقرب من الله تعالى، جاء في الحديث: "من سلك طريقًا يطلبُ فيه علمًا، سلك اللهُ به طريقًا من طرقِ الجنةِ، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضًا لطالبِ العِلمِ، وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ له من في السماواتِ ومن في الأرضِ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ، وإنَّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، ورَّثُوا العِلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ"[أخرجه أبو داوود، ٣٦٤١]، ولذا حث الإسلام على طلب العلم النافع في أمر الدنيا والآخرة، ودوام الاستزادة منه، قال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: ١١٤]، روي في الأثر عن معاذ بن جبل _رضي الله عنه_ قال: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح،

والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين، والمصبِّر على السراء والضراء، والوزير عند الخلاء، والقريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة، يُقتدى بهم، أدلة في الخير، تُقتص آثارُهم، وتُرمق أفعالُهم، وترغب الملائكة في خَلَّتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وكل رطب ويابس لهم يستغفر؛ حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامُه، والسماء ونجومُها"(الغزالي، ٢٠١١، ٢٥).

وعليه، فإن تدويل التعليم مكفول ضمن هذا الإطار من الحفاوة الذي يحفظ مكانة وكرامة أهل العلم وطلابه، ويحفظ أمنهم وسلامتهم، وألا يدفعهم ذلك الأمر إلى مواطن الانتقاص منهم وامتهانهم والحط من قدرهم، أو تعريضهم للأذي المادي أو المعنوي.

٧- التدافع العلمي والمعرفي

قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[البقرة: ٢٥١]، جاء في المنار "...يشمل درء هذه المفسدة في الدين وغيرها من الفساد الديني والدنيوي، "(رضا، ٢٠١١، ج١، ١٠٤). إن العلم في سائر فروعه وتخصصاته ينبغي أن يُؤسس على الموضوعية المعتمدة على الدليل وفقط، لا على الخرص، ولا على محض الظن، ولا على الرجم بالغيب دون بينة، ولا على المحاباة والانتصار للنفس والأشياع دون وجه حق، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾[الأنعام: ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾[النجم: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[البقرة: ١١١]، وهذه التوجهات القرآنية تفتح "أمام الإنسانية المعاصرة إمكانات هائلة لنقد وتجديد أسس المعرفة الإنسانية وإعادة بنائها استشرافاً لعالمية المشترك الإنساني"(لمقدم، ٢٠١٤، ٣٨٦).

إن التدافع العلمي القائم على التعمق في التحليل، وثبر أغوار القضايا العلمية، وعلى النقد والتمحيص التقويمي المؤسَّس على منطق الدليل والبرهان، وعرض شواهد الإثبات، وبيان سبل الدحض، كل ذلك يعبر عن أجواء صحية تضمن تحقيق الممارسة العلمية الموضوعية في الوسط العلمي الأكاديمي، وهذه الأجواء هي التي تدفع بالعلم –في كافة فروعه وتخصصاته- إلى التقدم والرقي عبر التمحيص والتقويم المستمر الذي يميز الحق من الباطل، والصواب من الخطأ والزيف.

وعليه، فإن قضية تدويل التعليم مكفولة ضمن توجهات هذا المبدأ القيمي الحاكم الذي يُشدد القرآن عليه في تعامله مع تبني التصورات والحقائق في شتى المجالات العلمية والمعرفية؛ فيكون تبنيها والعمل بها عبر هذا المسار التدافعي البناء، المُستند إلى النقد والتمحيص والتقويم للذات وللآخرين، وليس عبر مسلك آخر يقوم على المجاملة والتقليد الأعمى والتضليل واتباع الهوى والإلباس الباطل ثوب الحق رغبة في الحفاظ على مكاسب معينة، أو الحصول على تمويل من جهة معينة تتبنى قضية زائفة أو مشبوهة يُراد لها أن تتسيد عبر حشد تأييد المشتغلين بالعلم دون سند نقدي علمي موضوعي حقيقي.

٨- التشارك المعرفي والإتاحة والنشر وعدم الكتمان:

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، يقول صاحب التحرير"... فالذي يتعلم العلم قد أُودع أمانة، وأُخذ عليه العهد بالتعامل والعرف بأن يُؤدي هذه الأمانة ويُفيد الناس ويُرشدهم بهذا العلم، وقد أخذ الله العهد العام على الناس بهذا التعامل المتعارف بينهم شرعاً وعرفاً... فيجب على العالم أن يُؤدي أمانة العلم إلى الناس كما يجب على من أُودع المال أن يرده إلى صاحبه"(رضا، ٢٠١١، ج٥، ١٣٨)، قال قتادة: "هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم فإن كتمان العلم هلكة"(الخازن، ٢٠١٤، ج١، ٣٣٠).

يشدد القرآن الكريم على أمر نشر العلم والمعرفة وتبيانها للناس أجمعين خاصة ما يتعلق بالعلم الذي يُحتاج إليه، كعلوم الشرع المتعلقة بالكتاب والسنة، فمغبة كتمان هذا الأمر وعدم تبيانه عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة، ولا ينحصر هذا الأمر فيما يتعلق بعلوم الشرع وحسب، بل يتسع ليشمل كل علم يحتاجه الناس في أمر معاشهم ومعادهم، جاء في الحديث: "من سُئل عن علمٍ فكتمه ألجمه اللهُ بلِجامٍ من نارٍ يومَ القيامةِ"[أبو داود، ٣٦٥٨]، ومثال ذلك كعالمٍ يمنعُ عِلمَه وفُتياهُ لِمَن يَحتاجُ إلى ذلكَ، أو كَمنْ عِندَه علمٌ فيهِ مَنفعةٌ للناسِ، فإذا مَنعَه ولم يَنشُرْه فيهم أصابَهم ضررٌ أو ما شابَه، "ألْجَمه اللهُ بلِجامٍ مِن نارٍ يومَ القِيامةِ"، أي: إنَّ الجَزاءَ مِن جِنسِ العملِ، فعِقابُه عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ حيثُ يَضعُ اللهُ في فمِهِ قِطعةً مِن حديدٍ مِن نارٍ يومَ القيامةِ، و"اللِّجامُ": ما يُوضَعُ في فمِ الفَرسِ لتُقاد بهِ(الدرر السنيَّة-الموسوعة الحديثية).

وهذا الأساس القيمي "الإتاحة وعدم الكتمان" بحاجة إلى تفصيل فقهي، خاصة فيما يتعلق بعلوم الدنيا، والمصلحة والمفسدة المترتبة على الكتمان، يقول ابن باز: "فإن كتم العلم إذا كان في كتمه مصلحة أكبر من إظهاره فلا بأس"، ذلك أن العلوم الدنيوية لا إثم في كتمانها، إلا إذا أدى ذلك إلى انعدام من يقوم بفروض الكفايات من العلوم التي يحتاج إليها الناس كالطب والهندسة والزراعة، فيجب عندئذ بذله لمن يرتفع بهم الإثم، ولا يجب في غيرهم، ومع هذا فيبقى أن الأفضل هو بذل هذه العلوم لمن ينتفع بها، من باب الإحسان إلى الخلق والتيسير عليهم ومحبة الخير لهم(إسلام ويب، ١٦٩٥٠٩).

وعليه فإن قضية تدويل التعليم منضوية تحت إطار هذا التوجيه القرآني المتعلق بهذا الأساس القيمي "النشر والإتاحة وعدم الكتمان"، وذلك في ضوء التأصيل الفقهي لهذا الأمر المؤسَّس على باب المصلحة والمفسدة، ومراعاة حقوق الملكية.

٩- المحافظة على الهوية وعقيدة الفرد والمجتمع:

قال تعالى: ﴿ **و فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[الزخرف: ٤٣]، أي "فكن مستمسكاً بما أوحيناه إليك، وبالعمل به، فإنه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي"(القونوي، ٢٠٠١، ج١٧، ٣٢٦)، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ**﴾[هود: ١١٣]، "أي: الركون إلى الشرك... لا ترضوا أعمالهم... "الركون" الرضى"(الطبري، ٢٠١٣، ج٧، ١٢٤).

وقال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا**﴾[الكهف: ٨٠]، "أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه"(الثعالبي، ١٩٩٧، ج٣، ٥٧٣).

يضع القرآن جملة من التشريعات والتوجيهات التي تجعل من أتباعه أصحاب هُوية عقديَّة وشخصية ذاتية يتميزون بها عن غيرهم، ويُلزم هؤلاء الأتباع بممارسة هذه الهوية والاعتزاز بها في الظاهر والباطن، في السمت والهدي والاعتقاد، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؛ لذا يجب على المجتمعات المسلمة أن تحافظ على هويتها وعقائد أفرادها في سائر الأحوال والمَواطن، وأن تعتز بهذه الهوية وتمارس مقتضياتها بصورة فاعلة في السر والعلن، وأن تسعى جاهدة –بكل السبل والوسائل- إلى سد مسارب اختراقها أو تشويهها ومسخها على المستوى الفردي والجمعي، فقد جاء النهي عن الانسلاخ من الهوية الإسلامية والتماهي مع المخالفين ففي الحديث: "من تشبَّهَ بقومٍ فَهوَ منْهم"[أبو داود، ٤٠٣١].

إن قضية تدويل التعليم تتم بين المجتمعات الإسلامية وغيرها من المجتمعات ذات الاتجاهات الفكرية والدينية المتباينة، وممارسة هذا الأمر في المنظور الإسلامي يأتي في ضوء المحافظة على هوية وعقيدة الأفراد والمجتمعات الإسلامية، لا أن تُستغل هذه القضية لاختراق وزعزعة وتشويه هوية المجتمع والتفريط في عقائد أفراده عبر الإيقاع بهم في مسالك الغزو الفكري والثقافي، وعليه فإن المحافظة على الهوية والعقيدة من أبرز الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم في المنظور التشريعي القرآني.

١٠- احترام وتقدير التخصص:

قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣]، "... وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله "فاسألوا أهل الذكر" يعنى أهل العلم، والمعنى فاسألوا أهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبر إن كنتم لا تعلمون أنتم ذلك"(الخازن والبغوي، ٢٠٢١، ج٤، ٢١)، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٦]، "... وقال البيضاوي ما ملخصه: ولا تتبع ما لم يتعلق به علمك رجماً بالغيب" (رضا، ٢٠١١، ج١١، ٢١٩).

يشدد القرآن في أمر المعرفة والتعليم والتعلم على قضية احترام التخصص، وينهى عن التكلم أو الخوض في مسائل لا يبلغها علم الإنسان ولا يؤهله تخصصه ومستواه العلمي والمعرفي إلى الخوض فيها، وهذا من باب الحرص على الموضوعية والأمانة العلمية واحترام التخصصات والتمسك بالدليل في شتى المسائل العلمية والمعرفية، لذا يأمر الإسلام أتباعه بالتثبت والتبين قبل الشروع في تبني تصورات معينة أو الحكم على وقائع معينة، وينهى عن الظن والجهالة في التعامل مع الأخبار والوقائع، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: ٦]، وفي القرآن توجيهات كثيرة في النهي عن طرح الدليل واتباع الهوى، والتكلم بغير علم، قال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [النمل: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [لقمان: ٦]،

وجاءت السنة المطهرة لتؤكد هذا التوجيه القرآني وتشدد عليه أيما تشديد، جاء في الحديث: "**إياكم والظنَّ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ**" [البخاري، ٥١٤٣]، وفي حديث آخر يقول -عليه الصلاة والسلام-: "**إنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ**

بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا" [البخاري، ١٠٠]، وعليه فإن قضية تدويل التعليم مكفولة ضمن هذا الأساس القيمي الحاكم "احترام التخصص"، فلا يتم الخوض إلا فيما يُحسنه أهل العلم ويتقنونه من تخصص ومجال، ولا يتم جحد الدليل وطرحه وكتمانه انتصاراً للهوى، وألا تُستغل نتائج العلوم التجريبية عبر ليّها وتوجيهها للانتصار لمسائل وقضايا ونظريات معينة تُعبر -في الحقيقة- عن تصورات مذهبية شخصية يُراد لها أن تتسيد دون وجه حق عبر مسار من التضليل والخداع والمراوغة، فإن العالِم إذا تفلسف -ولم يحترم نطاق تخصصه- أصبح فيلسوفاً فاشلاً، يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في هذا الشأن "وإذا تكلم المرء في غير فنِّه أتى بهذه العجائب"[فتح الباري/ ٥٨٤/٣].

١١- التعاقد و إبرام الاتفاقيات قبل الشروع:

قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٦٤]، "... تعالوا أقبلوا وهلموا... إلى كلمة سواء يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم..."(الطبري،٢٠١٣، ج٣، ٣٠١).

وقال تعالى: ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾ [سورة الكهف: ٦٦]، "في هذا السؤال ملاطفة ومبالغة في حسن الأدب؛ لأنه استأذنه أن يكون تابعاً له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم،"(الشوكاني، ١٩٩٧، ج٣، ٣٧٠).

يحث القرآن أتباعه على الإشهاد والتوثيق فيما يتعلق بمعاملاتهم البينية، كالدَّين، والبيع، والشراء، والزواج، والطلاق، والمعاهدات...إلخ، وثمة توجيهات قرآنية فيما يتعلق بالتعاقدات العلمية كذلك، فقد اشترط موسى عليه السلام لنفسه في رحلته التعليمية مع الرجل الصالح، وكذلك فعل الرجل الصالح أيضاً قبل الشروع في تعليم موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ **قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا** ﴾ [سورة الكهف: ٧٠]، والتوجيهات القرآنية في هذا الشأن تسعى إلى توضيح الحدود والالتزامات، وبيان الحقوق والواجبات قبل الشروع في المعاملات التبادلية الواقعة بين الناس، وذلك على نحو معلوم وبيّن لجميع الأطراف، بحيث يضع الجميع أمام مسؤولياتهم بما لا يدع مجالاً للَّبس والغموض، ومنعاً لوقوع التنازع والشقاق بين الأفراد والجماعات، ولصيانة حقوق كافة الأطراف المعنية.

وقد تواردت السنة النبوية على أمر الإشهاد والتوثيق، فمن ذلك ما روي عنه عليه الصلاة والسلام: **"ما حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، له شيءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ"**[البخاري، ٢٧٣٨؛ ومسلم، ١٦٢٧]، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: **"لَمَّا نزلت آيةُ الدَّيْنِ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: إنَّ أولَ من جَحَدَ آدمُ عليهِ السلامُ، أو أولُ من جحد آدمُ.. إنَّ اللهَ عزَّوجلَّ لَمَّا خلقَ آدمَ مسح ظهرَه فأخرج منه ما هو من ذُريّ إلى يومِ القيامةِ، فجعل يَعرضُ ذريَّتَهُ عليه، فرأى فيهم رجلًا يُزهرُ، فقال: أَيْ ربِّ مَن هذا؟ قال: هذا ابنُك داودُ، قال: أَيْ ربِّ كم عمرُه؟ قال: ستونَ عامًا، قال: ربِّ زِدْ في عمرِه، قال: لا إلا أن أزيدَه من عمرِكَ، وكان عُمْرُ آدمَ ألفَ عامٍ، فزادهُ أربعين عامًا، فكتبَ اللهُ عزَّوجلَّ عليه بذلك كتابًا، وأشهدَ عليه الملائكةَ، فلمَّا احتضرَ آدمُ و أتتهُ الملائكةُ لتقبضَهُ قال: إنه قد بَقِيَ من عُمُري**

أربعونَ عامًا، فقيل: إنك قد وَهَبتَها لابنِك داودَ، قال: ما فعلتُ، و أبرزَاللهُ عزَّوجلَّ عليه الكتابَ وشهدتْ عليه الملائكةُ"[رواه أحمد في المسند، ٢٢٧٠].

وعليه فإن أمر تدويل التعليم مؤطر في ضوء هذا الأساس القيمي الحاكم "التعاقد قبل الشروع" ضماناً للحقوق، وبياناً للمسؤوليات، ووفاءً بالالتزامات، ومنعاً من التنصل ووقوع الشقاق والخلاف بين الأفراد والمؤسسات والجماعات.

١٢- التواضع ونبذ الغرور في التعليم والتعلم

قال تعالى: ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٧٦]، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ قال: "يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم"(السيوطي، ٢٠١٥، ج٤، ٥٢). وقال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء: ٨٥]، والمعنى "إلا علماً قليلاً تستفيدونه من طرق الحواس فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات"(البروسوي، ٢٠٢٢، ج٥، ١٩٧).

يحث الإسلام أتباعه على ملازمة التواضع والبعد عن التكبر والغرور وخاصة في مجال التعليم والتعلم، فمهما بلغ الناس من التقدم في شتى فروع العلم والمعرفة فإنه مهما بلغ وعظم فهو قليل، ولن يستطيع الناس ولو اجتمعوا مع الجن أن يصلوا بعلمهم إلى خلق ذبابة، ولا استنقاذ شيء من طعامها الذي نهسته، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ [الحج: ٧٣]، هذا مع التأكيد على أن العلم الطبيعي يفتقر في منطلقاته إلى التصور الديني المتعلق بالخلق والحياة والنظام والاطراد في الكون وغيرها من الضروريات التأسيسية التي لا يمكن أن يقوم العلم إلا في إطارها، وهذه الضروريات لا يضمنها إلا التصور الديني، فالعلم ليس وليد الرؤية المادية، وليست المادية سبباً لتقدمه وتطوره(محمود، ٢٠٢١، ١٧٤-١٨٣)، فلا بد من وضع العلم الطبيعي في موضعه اللائق به، حتى يَحسن استخدامه والانتفاع به، دون شطط أو غلو فيه أو تقديس يرفعه فوق مكانته، ويجعله حاكماً على كافة شؤون وتصورات الحياة، فما لا يُحسن العلم إجابته من الأسئلة أكثر مما يُحسن. إن قضية تدويل التعليم والتشارك المعرفي مؤطرة وفق هذا الأساس القيمي القرآني الحاكم "التواضع في التعليم والتعلم".

١٣- الندية في التعامل

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ**﴾ [النساء: ١٠٤]، والمعنى "ولا تضعفوا، ولا تتوانوا... في ابتغاء القوم: في طلب القوم"(الخازن والبغوي، ٢٠٢١، ج٢، ١٥٥).

يريد الإسلام أن يكون أتباعه في موقف الريادة والعطاء والمبادرة والسبق في كافة مجالاتهم الدنيوية والدينية، فلا يقنعوا بموقف المتلقي أو المستهلك، بل لا بد من التقدم والاجتهاد وإبراز الفاعلية وحيازة السبق، ففي الحديث: " اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى"[البخاري، ١٤٢٧]، وهذا في كل أمر وشأن، فإن حدث وكانت الغلبة والريادة لغير المسلمين في مجال من المجالات –كما هو الشأن اليوم في مجال العلم التجريبي- فعلى المجتمعات المسلمة أن تسعى جاهدة في تغيير هذا الوضع بألا تهن في ابتغاء القوم في كافة المجالات، وخاصة ابتغاء القوم في المجال العلمي والمعرفي،

فهذا التوجيه القرآني من الأسس القيمية الحاكمة، فتدويل التعليم يقع ضمن إطار مراعاة هذا الأساس من قِبل المجتمعات الإسلامية، بحيث تتحقق لهم الندية في التعامل والقدرة على العطاء والبذل، وعدم الاكتفاء بموقف التلمذة والاستهلاك الخانع وحسب.

١٤- إتاحة تكافؤ الفرص للجميع:

قال تعالى: ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ** ﴾ [عبس: ١-٢]، والمعنى "عبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر"(ابن كثير، ٢٠١١، ج٤، ٥١٩). وقال تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ**﴾[التوبة: ٦]، "أي وإن استجارك أحد من المشركين الذين أُمرت بقتالهم، أي استأمنك بعد انقضاء أشهر العهد، فأجبه إلى طلبه حتى يسمع كلام الله، أي القرآن الذي تقرؤه عليه... فإن أسلم ثبت له ما للمسلمين، وإن أبى فإنه يُرد إلى مأمنه وداره التي يأمن فيها، ثم قاتله إن شئت"(القاسمي، ٢٠٠٣، ج٥، ٣٥٥).

يقضي الإسلام على كل أشكال التمييز العنصري بين الناس، ففي الحديث: " لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأبيضَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أبيضَ إلَّا بالتَّقوَى، النَّاسُ من آدمُ، وآدمُ من ترابٍ"[الألباني، ٣٦١]، وهذه التوجيهات تجعل الناس باختلاف قدراتهم ومواهبهم وأصنافهم وأجناسهم سواسية في الحقوق والواجبات التي كفلها الشرع لهم، ومن تلك الحقوق الحق في التعليم وتكافؤ الفرص للجميع دون تدخلات تميز البعض وتقدمهم دون وجه حق، وعليه، فإن ممارسات تدويل التعليم –خاصة ما يتعلق بحراك الطلاب والمعلمين- منضبطة في المنظور القرآني بهذا الأساس القيمي الحاكم "إتاحة تكافؤ الفرص للجميع" حسبما تؤهلهم قدراتهم وملكاتهم.

١٥- التوازن بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة:

قال تعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم: ٧]، "أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة"(ابن كثير، ٢٠١١، ج٣، ٣٨٣).

إن المسلم في كل أمر وشأن وحال منضبط بإطار الشرع الحنيف، لا يحيد عنه ولا يضل ما وسعه ذلك، وهذا الانضباط يجعل الفرد المسلم والمجتمع المسلم في إطار دائم من التوازن بين مطالب العيش وضروراته، وبين مطالب الآخرة وسعيها، فلا يطغى جانب على حساب آخر، ولا يتعارض جانب مع آخر، ورد في الحديث: "يعجبُ ربُّك من راعي غنمٍ في رأسِ شَظيةٍ بجبلٍ يؤذنُ للصلاةِ ويصلي، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: انظروا إلى عبدي هذا يؤذِّنُ ويقيمُ الصلاةَ يخافُ مني قد غفرتُ لعبدي وأدخلتُه الجنَّةَ"[أخرجه أبو داود، ١٢٠٣]، ومن توجيهات القرآن كذلك في هذا الشأن قوله تعالى: ﴿ **وَ ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ﴾ [القصص: ٧٧]. وإن أمر التعليم والتعلم بكافة صوره وأنماطه المحلية والعالمية لا تند عن هذا الأساس القيمي الحاكم "التوازن"، فلا يصح بحال أن ينشغل المسلم فرداً كان أو جماعة بأمر دنياه وعلومها عن أمر آخرته وواجباتها، قال تعالى في حق هذا الصنف: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [غافر: ٨٣].

١٦- تحري الدقة والأمانة العلمية:

قال تعالى: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ [الكهف: ٨٢]، "أي باختياري ورأيي، بل فعلته بأمر الله وإلهامه إياي"(الخازن والبغوي، ٢٠٢١، ج٤، ١٩٣)، إن الإسلام يحفظ حقوق الناس ولا يضيعها ولا يسمح لأحد بالتجاوز فيما يتعلق بحق الآخر، ومن ضمن هذه الحقوق ما يتعلق بحقوق الملكية الفكرية ورد الأمر لأهله، وتحري الدقة والأمانة العلمية في التعليم والتعلم، وأُولى هذه الحقوق نسبة الفضل إلى العليم الحكيم سبحانه وتعالى فيما لدى الإنسان من نعم وآلاء، ومنها نعمة العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿ **قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ [البقرة: ٣٢]. وإن مخالفة هذا الأمر نوعٌ من الغش والكذب والتضليل في حس الشرع، جاء في الحديث: "أنَّ امرأةً جاءَتِ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالت: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ لي زَوجًا، ولي ضَرَّةٌ، وإنِّي أتشَبَّعُ مِن زَوجي، أقولُ: أعطاني كذا، وكساني كذا، وهو كَذِبٌ؟ فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: المُتَشبِّعُ بما لم يُعطَ، كَلابِسِ ثَوبَيْ زُورٍ"[أخرجه مسلم، ٢١٢٩]، وهذا النهي يعظم أمره فيما يتعلق بحق الغير، فقد جاء في الحديث: "مَن غَشَّ فليسَ مِنِّي"[مسلم، ١٠٢].

وعليه، فإن قضية تدويل التعليم مكفولة ضمن هذه الأسس القيمية المرجعية المتعلقة بحفظ الحقوق وتحري الأمانة العلمية في التعليم والتعلم والتبادل المعرفي.

١٧- التحلي بالموضوعية -المؤسسة على اتباع الدليل- مع الآخر:

قال تعالى: ﴿**وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [سبأ: ٢٤]، "أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى"(ابن كثير، ٢٠١١، ج٣، ٥٩٠).

يشدد القرآن على أمر الدليل واتباع البرهان فيما يتعلق بكافة القضايا والتصورات خاصة تلك التي يترتب عليها تشكيل أفكار الناس وتوجيه حياتهم وفق عقيدة معينة أو نسق مذهبي معين، ولا يقبل الإسلام بتمرير الأفكار والتصورات والفرضيات والنظريات جزافاً دون سند من الاستدلال البرهاني، اتباعاً للهوى أو تحقيقاً لمصلحة نفعية، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ١١١]، وقال تعالى: ﴿ **وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ [القصص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، والقرآن إذ يقرر ذلك فإنه لا يجعل تصوراته وقضاياه وما دعا إليه بمنأى عن أمر هذا الاستدلال، فإن ما دعا إليه من تصورات وقضايا قد أقام عليها الدليل والبرهان القاطع، وتحدى بها المخالفين إلى يوم القيامة، جاء في الحديث: "لَوْ يُعْطَى الناسُ بِدَعْوَاهُمْ لادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قومٍ ودِماءَهُمْ ولَكِنَّ البَيِّنَةَ على المُدَّعِي، واليَمِينَ على مَنْ أنْكَرَ"[مسلم، ١٧١١].

وعليه، فإن التدويل والتبادل والتشارك المعرفي يُمارَس –في المنظور القرآني- في ضوء هذا الأساس القيمي الحاكم "موضوعية اتباع الدليل" لا الهوى ولا المصلحة ولا مسايرة الرأي العام، فلا يجوز قبول التصورات ونشرها إلا وفق دليل موضوعي مسوغ لا ينقضه مثال معارض.

١٨- التطبيق، والتعلم من أجل العمل:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، "أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه، "(ابن كثير، ٢٠١١، ج٤، ٣١٤)، وهذا مثال كل من يحمل علماً لا أثر له في حياته الواقعية التطبيقية.

لا يعرف الإسلام الفانتازيا العلمية Science fantasy، وقضاء الوقت والجهد في بحث قضايا لا طائل منها في الآجل أو العاجل، أو لا تمت إلى الواقع التطبيقي والعملي بصلة، فالإسلام دين واقعي يحرص على أعمار الناس وأموالهم وجهودهم أن تذهب سدى في اللهو العابث، لذا يحث أتباعه على مراعاة التطبيق والعمل في كل شؤونهم العامة والخاصة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣]، ويتعلق بهذا الأمر أن يكون أهل العلم وطلابه جديرين بمحل اقتداء الناس بهم عبر تحليهم بما يستلزمه العلم من صفات وسمات حميدة، جاء في الحديث: "يُجَاءُ بالرَّجُلِ يَومَ القِيَامَةِ فيُلْقَى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أقْتَابُهُ في النَّارِ، فَيَدُورُ كما يَدُورُ الحِمَارُ برَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أهْلُ النَّارِ عليه فيَقولونَ: أيْ فُلَانُ، ما شَأْنُكَ؟ أليسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بالمَعروفِ وتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟! قالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بالمَعروفِ ولَا آتِيهِ، وأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وآتِيهِ"[البخاري، ٣٢٦٧].

وعليه، فإن تدويل التعليم والتضامن المعرفي الإنساني يتقيد بإطار الواقع التطبيقي المبتعد عن الخيال العابث الذي يستنفد الأعمار والأوقات والأموال دون طائل يُرجَّى أو عائد تطبيقي مفيد في واقع الناس ومعاشهم.

١٩- التقيد بحدود العلم النافع:

قال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، "أي ما يضر في الدنيا ولا ينفعهم في الآخرة، يعني السحر"(السمرقندي، ٢٠٢١، ج١، ١٤٤).

حرم الإسلام على أتباعه الاشتغال بالسحر والكهانة والتنجيم وغيرها مما يوقع الضرر بالناس آحاداً وجماعات، وعد ذلك من العلم الذي يضر ولا ينفع، جاء في الحديث: "مَن أتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عن شيءٍ، لَمْ تُقْبَلْ له صَلاةٌ أرْبَعِينَ لَيْلَةً"[مسلم، ٢٢٣٠]، وفي الحديث أيضاً: "ليس منا من تطيَّرَ أو تُطيِّر له، أو تَكَهَّن أو تُكهِّن له، أو سَحَر أو سُحِر له، ومَن عقد عقدةً، أو قال عقدَ عقدةً، ومَن أتَى كاهنًا فصدَّقه بما قال فقد كفر بما أُنزِلَ على محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم"[أخرجه البزار، ٣٥٧٨]، وفي الحديث: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ وما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ"[البخاري، ٢٧٦٦].

وعليه، فإن تدويل التعليم يتقيد بحدود العلم النافع في الآجل والعاجل وفق تقريرات المنظور القرآني.

ملخص نتائج الدراسة التحليلية:

من أبرز النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

- حوى القرآن الكريم المبادئ والأسس المرجعية العامة الحاكمة لصياغة الإطار القيمي المنظم لجوانب الحياة الإنسانية كافة بما في ذلك الجانب المتعلق بتدويل التعليم والتشارك المعرفي.
- ثمة أسس قيمية حاكمة تشكل البعد المقاصدي "المركزي" لكافة الأنشطة الإنسانية وفق المنظور القرآني _ بما في ذلك الجانب المتعلق بتدويل التعليم_ وتتمثل هذه الأسس في: «التوحيد، والتزكية، والعمران»، فإن مقاصد الشرع في كافة أبعاده تتقيد بما يحقق هذه الأسس والمبادئ المركزية الحاكمة، ويتفق ذلك مع ما توصلت إليه دراسة لمقدم (٢٠١٤)، والعلواني (٢٠٠٣)، ومسرار(٢٠٢١)، والأحمر (٢٠١٤)، وملكاوي (٢٠١٣).
- ثمة أسس قيمية حاكمة لصياغة الإطار القيمي المنظم لتدويل التعليم وفق المنظور القرآني وتتمثل في:
  - تعزيز أبعاد المشترك الإنساني.
  - التعارف والانفتاح على الآخر.
  - تعظيم شرف العلم ومنزلة أهله.
  - التدافع العلمي والمعرفي.
  - التشارك المعرفي والإتاحة والنشر وعدم الكتمان.
  - المحافظة على الهوية وعقيدة الفرد والمجتمع.
  - احترام وتقدير التخصص.
  - التعاقد وإبرام الاتفاقيات قبل الشروع.
  - التواضع ونبذ الغرور في التعليم والتعلم.
  - الندية في التعامل.
  - إتاحة تكافؤ الفرص للجميع.
  - التوازن بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة.
  - تحري الدقة والأمانة العلمية.
  - التحلي بالموضوعية -المؤسسة على اتباع الدليل- مع الآخر.
  - التطبيق والتعلم من أجل العمل.
  - التقيد بحدود العلم النافع.

توصيات ومقترحات:

- أهمية وضع إطار قيمي تربوي حاكم لصيغ وإستراتيجيات تدويل التعليم.

- إجراء مزيد من الدراسات لاستجلاء الأطر القيمية الحاكمة لتدويل التعليم في بناءات فلسفية وتربوية أخرى للوقوف على نقاط التلاقي والتباين مع التصور الإسلامي، وسبل التقارب والتوفيق.

ويقترح البحث القيام بالمشاريع البحثية الآتية:

- الأسس القيمية الحاكمة لتدويل التعليم في الهدي النبوي الشريف.
- قيم المشترك الإنساني كمدخل لتعزيز التبادل المعرفي والتدويل التعليمي الآمن.

المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية:

ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). *تفسير التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر.

ابن عجيبة الحسني، أبو العباس أحمد بن محمد. (٢٠٢٢). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*. دار الكتب العلمية.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (٢٠٠١). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. ج٥. دار الكتب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ. (٢٠١١). *تفسير القرآن العظيم*. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

أحمد، لطفي بركات. (١٩٨٤). *المعجم التربوي في الأصول الفكرية والثقافية للتربية*. دار الوطن للنشر والطباعة والإعلام.

الأحمر، عبدالسلام محمد. (٢٠١٤). استخلاف الإنسان في الأرض نحو رؤية قرآنية كلية. *أعمال الندوة العلمية الدولية: القرآن الكريم ورؤية العالم - مسارات التفكير والتدبير*، الرباط: الرابطة المحمدية للعلماء، ٣٠١ - ٣٣٢.

البروسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى. (٢٠٢٢). *روح البيان في تفسير القرآن*. دار الكتب العلمية.

الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. (١٩٩٧). *تفسير الثعالبي "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"*. دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي.

الخازن، علي بن محمد البغدادي. (٢٠٠٤).*تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل*. دار الكتب العلمية.

الخازن، علي بن محمد البغدادي؛ والبغوي، الحسين بن مسعود. (٢٠٢١).*تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ومعه تفسير البغوي "معالم التنزيل"*. دار الكتب العلمية.

الدرر السنيَّة-الموسوعة الحديثية مسترجع من: https://dorar.net/hadith/sharh/119142

رضا، محمد رشيد. (٢٠١١). *تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار*. دار الكتب العلمية.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. (٢٠٠٩). *تفسير الكشاف* (ط.٣). دار المعرفة

السماحي، المصطفى. (٢٠١٨). الأسس المرجعية للقيم في الشريعة الإسلامية. *مجلة ذخائر للعلوم الإنسانية*، ٤، ٨-١٦.

السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم. (٢٠٢١). *تفسير السمرقندي "بحر العلوم"*. دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (٢٠١٥). *تفسير السيوطي "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"*. دار الكتب العلمية.

الشاهين، غانم عبد الله. (٢٠١٢). مدركات الطالبات المعلمات للقيم العلمية والأخلاقية في مؤسسات إعداد المعلم بدولة الكويت وتأثير بعض التغيرات الديمجرافية والدراسية عليها، *المجلة التربوية*، ٢ (١٠٢)، ١٣-٥٤.

شاهين، نجلاء أحمد محمد؛ رضوان، حنان أحمد محمد؛ و علي، نادية حسن السيد. (٢٠٢٠). تصور مقترح لتطوير التعليم العالي المصري في ضوء متطلبات تدويل التعليم. *مجلة كلية التربية*، ٣١ (١٢٢)، ٣٥٨ - ٣٨٠.

الشوكاني، محمد بن علي. (١٩٩٧). *تفسير الشوكاني "فتح القدير"*. دار الكتب العلمية.

الطبري، محمد بن جرير. (٢٠١٣). *تفسير الطبري المسمى "جامع البيان في تأويل القرآن"*. دار الكتب العلمية

العجمي، محمد الحسنين عبده. (٢٠٠٣). التطور الأكاديمي والإعداد للمهنة الأكاديمية بالجامعات المصرية بين تحديات العولمة ومتطلبات التدويل. *مجلة كلية التربية بالمنصورة*، ٥٢(١)، ١٢٤ - ١٩٨.

العلواني، طه جابر. (٢٠٠٣). *التوحيد والتزكية والعمران_محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة*. دار الهادي.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (٢٠١١). *إحياء علوم الدين*. ج١. دار الكتب العلمية.

الفواز، نجوى. (٢٠٢٠). توجه الجامعات لتحقيق الميزة التنافسية بالاعتماد على مبادئ تدويل التعليم العالي بما يتوافق مع متطلبات أهداف مشروع نيوم. *المجلة الأردنية في العلوم التربوية*، ١٦ (٤)، ٣٩٩-٤١٤.

قاسم، مجدي عبد الوهاب؛ و محمود، فاطمة الزهراء سالم. (٢٠١٢). *مستقبل جودة التعليم: التدويل، وريادة المشروعات والطريق إلى الجودة العالمية*. دار العالم العربي.

القاسمي، محمد جمال الدين. (٢٠٠٣). *تفسير القاسمي "محاسن التأويل"*. دار الكتب العلمية.

القدور، يمان هاشم. (٢٠٢١، ١٣ أكتوبر). *ما هي القيم والمبادئ. موضوع*. تمت المراجعة في ١٥ مارس، ٢٠٢٣ ، من: https://mawdoo3.com/

القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد. (٢٠٠١). *حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي "ومعه حاشية ابن التمجيد"*. دار الكتب العلمية.

لمقدم، أحمد أيت. (٢٠١٤). المشترك الإنساني في الرؤية القرآنية. *أعمال الندوة العلمية الدولية: القرآن الكريم ورؤية العالم - مسارات التفكير والتدبير*، الرباط: الرابطة المحمدية للعلماء، ٣٤٧ - ٣٨٨.

مجمع اللغة العربية. (٢٠١١). *المعجم الوسيط* (ط.٥). مكتبة الشروق الدولية.

محمود، مصطفى علي السيد. (٢٠٢١). *فلسفة القيم الأخلاقية من منظور الاتجاه الإنساني في الفكر الغربي المعاصر "دراسة تحليلية نقدية"*. (رسالة دكتوراه غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الأزهر، مصر.

مسرار، حميد. (٢٠٢١). القيم القرآنية الحاكمة للتربية وأثرها في تعزيز الأمن التعليمي، *مجلة الشهاب*، ٧ (٢)، ٦٣-٨٢.

ملكاوي، فتحي حسن. (٢٠٠٩). التزكية في منظومة القيم الحاكمة. *إسلامية المعرفة*، ١٥ (٥٧)، ٥-١٢.

ملكاوي، فتحي حسن. (٢٠١٣). *منظومة القيم العليا "التوحيد والتزكية والعمران"*. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

المنتار، محمد. (٢٠١٤). علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية، *مجلة التفاهم*، ٤٣، ٢٤-٢٥.

ثانياً: المراجع باللغة العربية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية:

Ahmed, Lotfi Barakat. (1984). *Pedagogical lexicon on the intellectual and cultural assets of pedagogy*. Dar Al-Watan publishing, printing and media.

Al-Ahmar, Abdus Salam Muhammad. (2014). The difference of man in the Earth Towards a holistic Quranic vision. Proceedings of the International Scientific Symposium*: the Holy Quran and the vision of the world - paths of thinking and management*, Rabat: Muhammadiyah Association of scholars, 301-332.

Al-Ajmi, Muhammad al-Hassanain Abduh. (2003). Academic development and preparation for academic career in Egyptian universities between the challenges of globalization and the requirements of internationalization. *Journal of the Faculty of Education Mansoura ،52*(1) ،124 - 198.

Al-Alwani, Taha Jaber. (2003). *Monotheism, Zakat and Umrah-attempts to reveal the ruling Quranic values and purposes*. Dar al-Hadi.

Al-Durr al-Sunnah-the Hadith encyclopedia retrieved from: https://dorar.net/hadith/sharh/119142

Al-Fawwaz, Najwa. (2020). Universities are oriented to achieve competitive advantage based on the principles of internationalization of higher education in accordance with the requirements of the goals of the NEOM project. *Jordanian Journal of Educational Sciences, 16* (4), 399-414.

Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad. (2011). *Revival of the sciences of religion.* C1. House of scientific books.

Al-Khazen, Ali ibn Muhammad al-Baghdadi. (2004). *Explanation of the treasurer:for the interpretation of the meanings of the download*. House of scientific books.

Al-Khazen, Ali ibn Muhammad al-Baghdadi; and Al-baghawi, al-Husayn ibn mas'ud. (2021).*Explanation of the treasurer: for the interpretation of the meanings of downloading, and with it the interpretation of the "download milestones"*. House of scientific books.

Al-prusawi, Ismail haqi Ibn Mustafa. (2022). *The spirit of the statement in the interpretation of the Quran*. House of scientific books.

Al-Qasimi, Mohammad Jamal al-Din. (2003). *Al-Qasimi's interpretation of"the advantages of interpretation"*. House of scientific books.

Al-qunawi, Essam al-Din Ismail ibn Muhammad. (2001). *Al-qunawi's footnote on the Tafsir of Imam Al-baydawi "and with him the footnote of Ibn al-Tamjid"*. House of scientific books.

Al-Samahi, Al-Mustafa. (2018). The reference bases of values in Islamic law. *Ammunition Journal of Humanities, 4*, 8-16.

Al-Shahin, Ghanem Abdullah. (2012). The perceptions of female students teachers of scientific and ethical values in teacher training institutions in the state of Kuwait and the impact of some demographic and study changes on them, *educational journal, 2* (102), 13-54.

Al-shawkani, Muhammad ibn Ali. (1997). *The shawkani interpretation is "the opening of the Almighty"*. House of scientific books.

Al-Suyuti, Jalal al-Din Abdul Rahman ibn Abi Bakr. (2015). *Tafsir al-Suyuti "the path that is scattered in the interpretation of the aphorism"*. House of scientific books.

Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (2013). *Tafsir al-Tabari called "the collector of the statement in the interpretation of the Quran"*. House of scientific books

Al-thaalabi, Abdul Rahman bin Mohammed bin Makhlouf. (1997). *Tafsir al-Tha'alabi "Al-Jawahir Al-Hasan in Tafsir al-Quran"*. The House of revival of Arab heritage, the foundation of Arab history.

Atiyah's son, Abd al-Haqq Ibn Ghalib. (2001). *The brief editor in the interpretation of the Dear Book*. C5. House of scientific books.

Ibn Ajiba Al-Husni, Abu al-Abbas Ahmad ibn Muhammad. (2022). *The sea of glory in the interpretation of the Glorious Qur'an*. House of scientific books.

Ibn Ashur, Muhammad Eltaher. (1984). *Interpretation of liberation and enlightenment*. Tunisian publishing house.

Ibn Kathier, Abu Elfedaa Al-Hafiz. (2011). *Interpretation of the great Quran*. Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution.

Kassem, Magdy Abdel Wahab; and Mahmoud, Fatima Zahra Salem. (2012). *The future of Education Quality: internationalization, entrepreneurship and the path to global quality*. The House of the Arab world.

Lmqdem, Ahmed Ait. (2014). The human participant in the Quranic vision. Proceedings of the International Scientific Symposium: *the Holy Quran and the vision of the world - paths of thinking and management*, Rabat: Muhammadiyah Association of scholars, 347-388.

Mahmud, Mustafa Ali al-Sayed. (2021). *The philosophy of moral values from the perspective of the humanistic direction in contemporary Western thought is a "critical analytical study"*. (Unpublished PhD thesis), Faculty of Education, Al-Azhar University, Egypt.

Malkawi, Fathi Hassan. (2009). Recommendation in the system of governing values. *Islamism of knowledge, 15* (57), 5-12.

Malkawi, Fathi Hassan. (2013). *The system of higher values "unification, sponsorship and urbanization"*. International Institute of Islamic thought.

Muntar, Mohammed. (2014). The relationship of faith to urbanism in the Quranic vision, *Journal of understanding, 43*, 24-25.

Pleased, benign. (2021). Quranic values governing education and their impact on enhancing educational security, *Al-Shihab magazine, 7* (2), 63-82.

Pots, Yaman Hashim. (2021, October 13). *What are the values and principles.* Theme. Reviewed on March 15, 2023, from: https://mawdoo3.com/

Reda, Mohammad Rashid. (2011). *Tafsir al-Quran Al-Hakim, famous for Tafsir al-Manar*. House of scientific books.

Samarkandi, Nasr ibn Muhammad ibn Ibrahim. (2021). *Samarqandi interpreted the "sea of science"*. House of scientific books.

Shahin, Naglaa Ahmed Mohamed; Rizwan, Hanan Ahmed Mohamed; and Ali, Nadia Hassan El Sayed. (2020). Envisioning a proposal for the development of Egyptian Higher Education in the light of the requirements of the internationalization of

Education. *Journal of the Faculty of Education ،31*(122) ،358 - 380.

The Arabic language complex. (2011). *The intermediate lexicon* (I.5). Sunrise International Library.

Zamakhshari, neighbor of Allah Mahmud Ibn Umar. (2009). *The Scout's explanation* (I.3). House of knowledge

ثالثا: المراجع باللغة الإنجليزية:

Canadian Bureau for International Education (CBIE). (2014). *Internationalization statement of principles for Canadian educational Institutions.* available at: https://cbie.ca/wp-content/uploads/2016/06/Internationalization-Principles-for-Canadian-Institutions-EN.pdf

Childress, L. K. (2009). Planning for internationalization by investing in faculty. *Journal of International and Global Studies, 1*(1), 30-49.

Covey, S. R. (2020). *The 7 Habits of Highly Effective People*. Simon & Schuster.

Hwang, J. (2017) *The role of internationalization of higher education to achieve SDG4*. Second Stakeholders Meeting on Indicators for Internationalization of Higher Education in Asia and the Pacific, UNESCO Asia-Pacific Regional Bureau for Education, Thailand. Nov.9, 1-17.

Knight, J. (2003). (rep.). *Internationalization of higher education practices and priorities*: *2003 IAU Survey Report*. International Association of Universities.

Norris, K. (2017, March 15). *The difference between principles and values*. Medium. Retrieved March 15, 2023, from https://medium.com/the-mission/the-difference-between-principles-and-values-789b95452422

United Nations Educational Scientific and Cultural Organization (UNESCO). (2004). *Higher education in a globalized society*. Paris: UNESCO.